

تبادل الاتهامات.. حتى في موسم الحج!

2015-09-30 باسم حسين الزبيدي

لا تجد إيران والسعودية اي فرصة سانحة لاعلان الحرب الكلامية فيما بينهما، الا وبادرتا اليها سعياً لكسب جولة في حرب الهيمنة السياسية والدينية في منطقة الشرق الاوسط، ومع ان كلا البلدين الاقليميين في المنطقة لديهما ما يؤهلهما، من نقاط قوة، للسيطرة وصناعة التأثير في هذا المجال الجيوسياسي الحيوي لكليهما... الا ان نقاط الضعف مقاربة، ان لم تكن اكثر، لنقاط القوة عند النظامين... وبالمحصلة النهائية سيتسرب الانهاك والتعب من السجال الدائر منذ عقود، اضافة الى مواصلة الصراع... وان طالت امد المطاولة والعناد.

رقعة الخلافات السياسية، بين البلدين، والتي امتدت الى الخليج وسوريا والعراق واليمن ولبنان، اضيف اليها بعداً دينياً اخر، يتجدد كلما اثرت الخلافات الدينية، التي غالباً ما تتداخل في صلب الصراع كلما حدثت مشكلة من هذا النوع، سيما التي شهدتها موسم الحج الاخير، وهي خلافات وصراعات ليست بالجديدة، بل تمتد الى زمن مؤسس دولة (ال سعود)، عبد العزيز بن سعود، في بدايات القرن الماضي، وحتى الوقت الراهن... والسبب في ذلك ان "رعاية الأماكن المقدسة تظل المصدر المهم لشرعية العائلة السعودية الحاكمة، التي تعاني من انقسام داخلي سياسي وديني، ولم تحظ الرعاية بشعبية في المنطقة، لأن معظم أنظمة المنطقة تتبع تفسيراً للدين يختلف عن ذلك التي تطبقه الرياض"، بحسب ماتراه صحيفة الغارديان.

لكن يمكن ان نضيف اليها سبب اخر... قد يعكس حجم الهوة بين المسلمين عموماً وبين المذاهب الاسلامية على وجه الخصوص، وهو ماولده (الصراع الطائفي) عمودياً... على مستوى التطرف الفكري والعقائدي للجماعات الارهابية التي اتبعت تفسيراً متشدداً للاسلام وما نتج عنه من تشويه القيم الحقيقية التي نادت بها الرسالة المحمدية بعد ان نقلت صورة سيئة لمن يتبع الديانة الاسلامية عالمياً، وافقياً... من خلال احتدام الصراع المذهبي (السنّي-الشيوعي)، اضافة الى الصراع الداخلي لذات المذاهب الاسلامية الكبيرة والفرق الاخرى... وهو صراع ولد العديد من الحروب الاهلية والدمار والقتل، بسبب تفسيرات خاطئة عن طبيعة الاسلام بين المسلمين انفسهم.

هذه البيئة غالباً ما توفر مناخاً مثالياً لاستغلال المواسم الإسلامية (المقدسة) كذريعة لتبادل الاتهامات، واستباق الآخرين في سلب الشرعية الدينية من الطرف الآخر... والسبب في ذلك تجريد الخصم من سلاح قوي يحافظ على بقاء الكيان السلطوي للنظام الذي استمد شرعيته من (قدسية) هذه الشعائر المقدسة في نظر جميع المسلمين...

الخطر الأكبر يأتي من ضرب نقاط الوحدة بين المسلمين، باعتبار (موسم الحج) من المقدسات التي لا يختلف عليها أي مسلم في العالم... أما بالنسبة للسعودية، فهي مناسبة لاستعراض نفوذها الديني والقدسية التي يحضى بها نظامها (الملكي المطلق)، بعد أن انتزع (الآباء المؤسسون) للنظام السعودي، خدمة الحجيج من (الهاشميين) تحت تهديد السلاح... بالمقابل فإن إيران تجدها فرصة مناسبة لتذكير العالم الإسلامي بضرورة إعادة النظر في إعادة صياغة ورعاية هذه الشعيرة المقدسة لدى كل المسلمين، وأن تكون تحت رعاية ودراية جميع الدول الإسلامية، لإدارتها بشكلها السليم، وتدارك الأخطاء السابقة، التي راح ضحيتها الآلاف من الحجاج، كانت لإيران النسبة الأكبر في حادثة التدافع الأخيرة بمنى...

وبمعنى أكثر وضوحاً، تبادل الضربات بين الطرفين حتى في موسم الحج... فالسعودية تتهم إيران باستغلال الحج والعواطف الدينية للحادثة على المستوى السياسي... فيما تتهم إيران السعودية بأنها غير مؤهلة لإدارة مناسك الحج وتطالب بإشراك الجميع فيها، فضلاً عن اتهامها بأن حروبها العنيفة في اليمن وتدخلها في سوريا، والانقسامات الداخلية حول السلطة في المملكة، جعل من رعاية شؤون الحج أمراً هامشياً بالنسبة لأمرائها... فيما يرى متابعون أن كلا الطرفين يحاول استغلال ما يحدث لأحداث أكثر الضرر بخصمه من دون الالتفات إلى حجم الكارثة وحقيقة التصير وسبل منع تكرار هكذا أحداث مستقبلاً.